

تشكل المخطوطات جزءا هاما من التراث الذي أبدعته الحضارة العربية والإسلامية في شتى حقول المعرفة الإنسانية من تاريخ وجغرافيا، وأدب، وفن وطب، وكيمياء وفلك، وسائر العلوم وهذه المخطوطات بالعربية (وقليلها بالفارسية والتركية) ويتراوح عددها ما بين ثلاثة إلى خمسة ملايين إلى خمسة ملايين مخطوط، موزعة في المكتبات العالم العربي، وفي مكتبات العالم المختلفة في أوروبا وأمريكا وبعض دول آسيا. ظلت هذه المخطوطات، مثلها مثل سائر أنواع تراثنا، مهملة ومنسية، ولم يحقق منها إلا التمر اليسير، كتب الكثير عن المخطوطات الأدبية، ولكن كل ما كتب تقريبا يغلب عليه الطابع التصنيفي (البibliوغرافي أو النصي أو التجاري).

والآن وقد ظهرت قد البلاد ظهرت في البلاد العربية نهضة علمية قوية، ومال كثيرون إلى نشر النصوص القديمة، واختلقت الطرق التي يتبعها الناشرون كما ذكرنا، كان لابد من وضع قواعد علمية دقيقة ينهجها المحققون، وتتوحد بها الطرق في التحقيق والنشر.

تعريف المخطوطات

قبل الخوض في المفهوم الدلالي لهذا اللفظ نشير أن الفيلولوجيين لا يقبلون استعمال لفظ مخطوط إلا إذا ألحق بكلمة كتاب فيقولون الكتاب المخطوط لأنه ليس كل ما كتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطا فشواهد القبور وما نقش على الأحجار وما نقر على الصخور لا يمكن اعتباره مخطوطا. إن الكتابة باليد ليست بالضرورة في ذاتها بالمفهوم الفيلولوجي للمخطوط، فلنبحث الآن في مادة هذا اللفظ في اللغة مع محاولة رصد بداية تداوله وذلك باستشارة المعاجم واستقراء النصوص التي يمكنها أن تمدنا بالمعلومات عن بدء استعماله.

فالمخطوط هو كتاب لم يتم طبعه بعد، أي أنه مازال بخط المؤلف أو بخط ناسخ غيره، أو أخذت عنه صور فوتوغرافية أو أن يكون مصورا بالماكرو فيلم عن مخطوط أصلي.

ويتضمن المخطوط عادة، صفحة العنوان، وهي بمثابة الواجهة أو الغلاف في الكتاب المطبوع، يعرفون صفحة العنوان، بل كان ذكره يرد في مقدمة الكتاب أو نهايته، وكانت الصفحة الأولى بيضاء.

في اللغة الفرنسية MANUSCRITE و أستعمل لفظ المخطوط لأول مرة

في أحد النصوص هذه اللغة في سنة 1594م أي في نهاية القرن 16م . وعلى الرغم من أنه لفظ لاتينا
MANUSCRIPTUM فإن الفرنسيين استعاروه من اللغة الإيطالية التي عرفت استعمال اللفظ قبل فرنسا
مكتم سلفها التمسك بالنهضة الحديثة وقد أطلقوا على المخطوط LIBRI لفظ
تحقيق المخطوطات

تحقيق المخطوط يقصد به بذل عناية خاصة به حتى يصح عنوانه واسم مؤلفه وبشت نسبة الكتاب
إليه، ويكون منته أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه.

وهناك تعريف لمصطلح تحقيق المخطوطات قال به عبد السلام هارون رحمه الله تعالى وهو " بذل
عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشروط معينة . فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه
واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه ، وكان منته أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه

وبعد هذا فللمحقق صفات عليه الالتزام بها، فمن تحلى بمثلها ملك أسباب التحقيق ومن قللها - أو
نقص بعضها - قصرت عنده هذه الملكة وعسرت عليه رموز المخطوطات و تلبس نشرها وهذه الصفات هي
أولاً - الأمانة في أداء النص صحيحاً من غير زيادة أو نقصان : فالمحقق بمثابة راوية للكتاب الذي يرويه
بطريقة التلقي عن المؤلف.

وعلى المحقق ألا يجيز لنفسه التصرف في المخطوطات التي بين يديه فيعدل في عبارتها أو أساليبها.
ويتعين عليه البعد كل البعد عن الأهواء الشخصية والمذهبية أو العصبية بإخراجها على أي شكل أو
صورة رغبة في الاستكثار وتحقيق المكاسب المادية أو بالسطو على جهود الآخرين، فعليه أن يكون أميناً في كل
مراحل تحقيقه للمخطوط.

ثانياً - الصبر و الأناة : فقد يكون تحقيق كتاب في أكثر الأحيان أشق على الأنفس من تصنيف كتاب
جديد فالصبر والجلد وسعة الصدر أمور أساسية يجب أن يتحلى بها الباحث المحقق.
ثالثاً - المؤهلات العلمية : ذلك بالتمكن من العلم الذي يخوض غماره والخبرة بالعمل الذي يمارسه
وحسن الفهم لما يقرؤه، لذلك على صاحب كل تخصص معين ان يفتش عما يخدم تخصصه ليدع في تحقيقه.
وذلك:

- أن يكون ذا ثقافة واسعة بالعلم الذي يحقق فيه الكتاب ودراية بتاريخه وما ألفت فيه من كتب
- أن يكون ذا خبرة بلغة أهل الفن الذي يحقق فيه، ومهما يكن العلم الذي يحقق فيه فإن على المحقق
إتقان اللغة العربية نحواً ولغة.
- التواضع واستعداده للحوار والمناقشة والبعد عن التمسك بالرأي والوقوف عليه، والتزم لرأي هو
مفتتح به.

- أن يكون عارفاً بأنواع الخطوط العربية و تاريخ تطورها، أو على الأقل أن يكون عنده حسٌّ مرهفٌ لهذه الخطوط عن طريق الاطلاع عليها أو على أغلبها أن يتبع القواعد الأساسية لتحقيق المخطوطات وأصول نشر الكتب.

تحري المخطوطات وجمعها
حتى يكون المخطوط صالحاً للتحقيق يجب أن يكون له أكثر من نسخة، ويصعب تحقيق مخطوط له نسخة واحدة فقط، إلا في حالة عدم العثور إطلاقاً على نسخ أخرى له، أو لا يعرف بوجود نسخ أخرى له. ويجب البحث والتقيب على نسخ المخطوط المتناثرة في أنحاء العالم، ويساعد في ذلك مراجعة فهرس المخطوطات العربية للمكتبات المختلفة.

ومن ثم اختيار النسخ التي يحتاج إليها، وتصويرها لتكون تلك النسخ مطابقة للأصل، ولا شك أن الاطلاع على جميع النسخ، إذا توفر ذلك للباحث، فيه فائدة كبرى للتحقيق، لأن النسخ، عادة، تتفاوت قيمتها حسب بعدها أو قربها من زمان المؤلف، أو بكمالها ونقصها، بالإضافة إلى أنها تكتب بأيدي نسخ متعددين، في أزمنة متباعدة، والمقابلة بين النسخ توصل الباحث إلى أفضلها وأكملها. وقد لا يستطيع الباحث أن يعثر على جميع المخطوطات التي تخص كتاباً واحداً، لأنه مهما جمع من تلك النسخ، لا بد أن يأتي بعده من يستطيع أن ينشئ نسخة جديدة لم يكن أحد يعرف بها. ولذا على الباحث بعد اقتناعه بأنه جمع ما أمكنه من نسخ المخطوطة، أن يشرع، دون إضاعة وقت في التحقيق، ولا بد من الإشارة إلى وجوب الاستفادة من فهرس المخطوطات التي تبين النسخ وتاريخ النسخ إذ إن دراستها دراسة أولية يمكن الباحث من اختيار النسخ التي يحتاج إلى تصويرها وإن كان الشك يتطرق في كثير من الأحيان إلى صحة الوارد فيها سواء بأسماء النساخ أو تاريخ النسخ أو مكانه أو نحو ذلك من المعلومات التي توصف بها المخطوطة.

: ترتيب النسخ

بعد أن يقوم المحقق بجمع النسخ الخطية و دراستها يقوم بعملية ترتيب أفضلي للنسخ وذلك حسب الترتيب الآتي:

أولاً - نسخة المؤلف - إن وجدت - والتي نسميها (النسخة الأم) أو (النسخة الأصلية) ويجب ملاحظة اعتماد آخر نسخة كتبها المؤلف فقد يكتب المؤلف كتابه ثم يضيف إليه في ضوء قراءته له وتدرسه لغيره ومراجعته إياه.

ثانياً - تلي نسخة المؤلف نسخة قرأها المؤلف أو قرئت عليه وأثبت بخطه أنه قرأها أو قرئت عليه، أو أثبت الناسخ أنها مقروءة على المؤلف.

. ثالثاً - تليها النسخة التي نقلت عن نسخة المصنف أو قوبلت عليها

رابعاً - ثم نسخة كتبت في عصر المصنف مقروءة على عالم متقن الضابط.

خامساً - ثم نسخة كتبت في عصر المصنف غير مقروءة على أي من العلماء غاية التحقيق ومنهجه :

غاية التحقيق هو تقلص المخطوط صحيحاً كما وضعه المؤلف، دون شرحه . إن الكثرة من الناشرين لا تنتبه إلى هذا الأمر، فتجعل الحواشي ملأى بالشروح والزيادات : من شرح للألفاظ، وترجمات للأعلام، ونقل من كتب مطبوعة، وتعليق على ما قاله المؤلف - كل ذلك بصورة واسعة مملّة، قد تشغل القارئ عن النص نفسه، ولم توجد في المخطوط . وهم يقصدون بذلك التبحر بالعلم والاطلاع .

ويقضي عمل التحقيق ما يلي : -

- 1- التحقق من صحة الكتاب واسمه، ونسبته إلى مؤلفه .
- 2- إذا كانت النسخة أما كتبها المؤلف بخطه فتثبت كما هي .
- 3- إذا كان المؤلف نقل نصوصاً من مصادر ذكرها، فتعارض هذه النصوص على أصولها ويشار في الحاشية، بإيجاز، إلى ما فيها من زيادة ونقص . كأن يقال : هذا النص في كتاب كذا باختلاف في اللفظ، أو بزيادة، أو غير ذلك 1 .
- 4- قد لا يذكر المؤلف مصادره، فإذا عرفها المحقق ورد كل نص إلى مصدره كان أحسن، وأدعى إلى الاطمئنان إلى صحة النص . وهذان الأمران (3 و 4) يلجا إليهما للتأكد من صحة النص فقط .
- 5- قد يسبق المؤلف قلمه أو تحونه ذاكرته، فيخطئ في لفظ أو اسم . فيستطيع المحقق أن يصحح الخطأ في الحاشية، ويثبت النص كما ورد، لأن النص الذي يكتبه المصنف بخطه دليل على ثقافته واطلاعه وشخصيته العلمية . أو يستطيع إثبات الصحيح في النص والإشارة إلى الخطأ في الحاشية .
- 6- أما إذا كانت النسخ مختلفة فتختار نسخة لتكون أما ويثبت نصها .
- 7- تقابل النسخة التي تتخذ أما، مع النسخ الأخرى ويشار في الحاشية إلى اختلاف النسخ، أي اختلاف الروايات في كل لفظة إذا كان ثمة اختلاف يبدل المعنى فقط . وتهمّل الإشارة إلى خطأ النساخ .
- 8- عند اختلاف الروايات يثبت في المتن ما يرجح أنه صحيح بعد دراسة يقوم بها المحقق لكل رواية . ويوضع في الحاشية، وذلك إذا تحقق الناشر أن الزيادة هي من أصل الكتاب وليست من الناسخ، وإلا فيمكن الإشارة إليها وإثباتها في الحاشية .
- 9- عند وجود زيادة في نسخة من النسخ لا توجد في النسخة المعتمدة فتضاف إلى النسخة المعتمدة ويشار إلى ذلك في الحاشية، وذلك إذا تحقق الناشر أن الزيادة هي من أصل الكتاب وليست من الناسخ، وغلا فيمكن الإشارة إليها وإثباتها في الحاشية .

10-يسمح للمحقق إضافة حرف أو كلمة سقطت من المتن . على أن يضع ذلك بين قوسين (انظر الرموز) وقد سيج الأقدمون بزيادة ما سقط من سند الحديث أو متنه، وبتجديد ما اندرس من كتاب في الحديث .

11-إذا وجد في المخطوط حرم أضباع نصا ما، وكان هذا النص في كتاب آخر، مطبوع أو مخطوط، - كان نقل النص عن مصدره الأول -

12-فيمكن إتمام الحزم، والإشارة إلى ذلك في الحاشية، بوضع المضاف بين قوسين (انظر الرموز)، أما إذا لم يجد المحقق ما حرم أو ماترك بيضا في مصدر آخر، فيشير إلى مقدار الحزم أو البياض في الحاشية .

13-يلجأ بعض الناشرين، عند وجود نسخ كثيرة، وعدم اختيارهم نسخة معتمدة، إلى الاعتماد على عدة نسخ في آن واحد معا . هذه الطريقة قد تطلق الحرية للناشر، ولكن لا يؤمن معها الزلل . إلا إذا كان الناشر متمكنا في معرفة مصنف الكتاب ولغته وأسلوبه ومعرفة الكتاب نفسه .

14-والأفضل للمبتدئين اعتماد نسخة ومقابلتها على النسخ الأخرى وترجيح الرواية الجيدة .

15-كان الأقدمون أنفسهم إذا وجدوا نسختين من كتاب عارضوا إحداهما بالأخرى، وأثبتوا الاختلاف في الهامش فيقولون : في نسخة : كذا . في هذه الحالة يعتبر ما أثبت في الهامش كأنه نسخة ثانية، ويفضل بينه وبين ما في المتن، ويشار إلى ذلك في الحاشية .

16-قد يقرأ عالم كتابا، ويصحح بعض ألفاظه . هذه الألفاظ المصححة تزيد في قيمة النسخة . إذا وافق المحقق على التصحيح أثبت في المتن وأشار إلى الأصل في الحاشية . ولابد، بصورة عامة، من الإشارة في الحاشية إلى كل ما يوجد من تعليق في هامش نسخة ما .

17-إذا وجدت زيادات أضيفت في جوانب المخطوط أو طرته من تنبيه أو تفسير أو غير ذلك، فلا تضاف قط على المتن . بل يشار إليها في الحاشية .

18-يجب أن يتنبه المحقق إلى أنه قد يصادف في المخطوطات القديمة، حتى القرن السادس، والحديثة منها خاصة، بعض علامات أو حروف صغيرة وضعت فوق بعض الألفاظ . وقد لا دري معناها . فمنها :

19-أ - كلمة ((صح)) . توضع فوق اللفظ، ومعناها أن اللفظ على ما هو مثبت صحيح .

20-ب - حرف ((ص)) ممدودة ((ص-)) وتسمى ((ضبة)) أو علامة التمريض يعني أن اللفظ الذي وضع الحرف فوقه فيه مرض أو خطأ أو علة .

21-د - إذا ضرب فوق لفظ بخط فمعناه أنه محذوف . وربما حوق بنصف دائرة فوق الكلام المحذوف .

22-ولما كانت الحروف غير منقوصة في أصل الكتابة العربية، فقد كان يحدث التباس في قراءتها . ومنعاً للتصحيف والتحريف جرى النساخ والعلماء الأقدمون، من القرن الثالث حتى السادس، أن يضعوا بعض إشارات الحروف لكلا يقع التباس فيها .

23-فمثلا كانوا يضعون حرف حاء صغيرة فوق حرف الحاء في الكلمة لكلا يقرأ حاء .

24- أو يضعون عينا صغيرة تحت حرف العين لتلا بقراً غيا . وكذلك يضعون في حرف الصاد والطاء والهمزة والراء .

25- وقد يضعون ثلاث نقط تحت حرف السين لتلا بقراً غيا، لأن نقاط السين من فوق .

26- صيانة المخطوط مفهوم علمي واسع، يهدف إلى إحياء التراث العلمي القديم المخطوط والإحياء يعني إزالة بصات الزمن التي ظهرت على المخطوط بحكم قدمه، وتعرضه لمخاطر الجو والمخاطر حيثما وجد، وهذا يعني بدوره أن الصيانة تشمل في مفهومها التعامل مع المخطوطات التي أصبحت فعلا، أو ذات الاستعداد للإصابة . ولا يخفى علينا دور الصيانة في إزالة هذه البصات، وإعادة حالة المخطوط إلى ما كانت عليه قبل الإصابة بقدر ما تسمح حالة إصابته، سواء احتس ذلك بحيت الأحبار وكشف النص المكتوب من بين البقع والأوساخ، أو معالجة وترميم الأوراق والجلود، ومدى أهمية ذلك للمباحث والمحققين والفرائ . وبالرغم من هذه الأهمية العلمية والقيمة الأثرية للمخطوط، فما زال مجال صيانتها يكره يحتاج للكثير من التخصصين، والعديد من الأبحاث والتجارب حتى تصل الصيانة إلى المستوى اللائق بتراثنا العربي المخطوط، وتساهم أحدث ما وصل إليه العلم والتكنولوجيا في العصر الحديث .

27- ويرجع علو مجال الصيانة من التخصصين والباحثين، وانتماءه إلى الجديد من الأبحاث - قديما وتحديثات الدراسة الأخرى - إلى الجيل بقيمة هذا العمل وجنوده من ناحية، إلى صعوبة هذا التخصص من ناحية أخرى وضيق المجال الوظيفي لمن يتخصصون فيه من ناحية ثالثة، والتي طبعهم بحول الشبهة ونجدهم الأضواء، ويحاولون البعد عن الاشتغال بهذا القلم البالي، الذي يحترق بعضهم تنقيا في ضائيق الدمي، التي كان يلهو بها أسلافنا في طور الطفولة

28- السذاجة الفكرية، والحقيقة غير هذا، فالعاملون في مجال المخطوطات صيانة وترميم، تحقيقا وتوثيقا، لا يبتشرون القصور كما يتوهم البعض، بل يعايشون أمجاد الأمة وتراثها العلمي الإسلامي .

المصادر:

- نبني أسعد وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، بيروت، عالم، 1993 .
- صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1987 .
- مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوطات علما وعملا، القاهرة، عالم الكتاب، 2002 .